

يَأْخُذُ هَارُونَ

المهندس
عبد
الرفاعي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ

.. إضافة إلى اشتراك كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) مع باقي الكتب السماوية
بكونه كلاماً لله تعالى (معاني من عند الله تعالى) ، فإنه يتميز عنها بكونه قولاً لله تعالى
(صياغة لغوية من عند الله تعالى) ، وقد بينت في كتيبي هذه الحقيقة بشكلٍ مفصّل ..

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٦٨]

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ٥]

.. من هنا نرى الحكمة الإلهية في تبيان الله تعالى أن البشر لن يستطيعوا الإتيان بنصِّ
كالنصِّ القرآني ، في حين لم يتحدثوا بأن يأتيوا بأي نصِّ كنصوص الكتب السماوية
الأخرى ..

﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ

بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨]

.. مما تقتضيه عظمة الصياغة القرآنية أن لا يُذكر اسم ذات في كتاب الله تعالى لأكثر من شخصيّة واحدة ، فالقرآن الكريم كلُّ متكامل لا تتناقض فيه أيُّ عبارة قرآنية مع أيِّ عبارة أخرى .. وكنا قد رأينا في النظرية السادسة (سلّم الخلاص) كيف أن أسماء الرسل والأنبياء عليه السلام تدخل في الكثير من المعادلات التي تبين عظمة الصياغة القرآنية وعظمة الحكمة من تكرار ورود كل اسم منها على كامل مساحة كتاب الله تعالى ، وفي كل نص فيه ..

.. نحن نعلم أن هارون أرسل مع موسى عليهما السلام قبل مولد عيسى عليه السلام بقرون ليست قليلة .. وبالتالي من المستحيل أن تكون مريم عليها السلام أختاً بالولادة لهارون عليه السلام ، فالفاصل الزمني بينهما يجعل من ذلك مستحيلاً .. وبالتالي فالأخوة المعنية في النص التالي ليست دموية ..

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ﴾

مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا ﴿ مريم : ٢٧ - ٢٨ ﴾

.. فقوم مريم عليها السلام عندما قالوا لها : ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ﴾ ، لم يقصدوا أبداً أخوة دموية ، إنما قصدوا أخوة منهج وسلوك ... وهنا سؤال يطرح نفسه ... لماذا تم اختيار هارون عليه السلام بالذات دون غيره من الرسل والأنبياء عليهم السلام في هذا الوصف لمريم ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ﴾ !!!؟ .. بمعنى : ما هو الرابط بين مريم عليها السلام فيما اتمموها به في هذا الموقف من جهة ، وبين هارون عليه السلام من جهة أخرى ؟ .. الإجابة على هذا السؤال تحتاج للعودة إلى سيرة هارون عليه السلام وبالعودة إلى سيرته نرى أنه وهبت له النبوة كوزير لموسى عليه السلام نتيجة دعاء موسى عليه السلام له بذلك ..

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا إِخَاهُ هَرُونَ نَبِيًّا﴾ ﴿ مريم : ٥٣ ﴾

﴿ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿ أَشَدُّدَ بِمَةِ أَزْرَى ﴾ ﴿ وَأَشْرَكَهُ فِي ﴾

﴿ [طه : ٢٩ - ٣٢] ﴾

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾ [الفرقان :

[٣٥

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ ﴾ [الشعراء : ١٣]

﴿ وَأَخِي هَارُونَ ﴾ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلُهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ ﴾

يُكَذِّبُونِ ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ ﴾

﴿ [القصص : ٣٤ - ٣٥] ﴾

.. هذه الثقة التي وضعها موسى بهارون عليهما السلام ، هي من أجل أن يُصدِّقه

ويشدُّ عضده به ويكون وزيراً له ..

.. ومريم عليها السلام كانت نذراً أمها لله تعالى ..

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ﴾

﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا ﴾

﴿ وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ ﴾

﴿ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴿ قَالَ يَمْرُؤُا إِنِّي لَكِ هٰذَا ﴿ قَالَتْ ﴾

﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٥ - ٣٧]

ومريم عليها السلام وُضِعَتِ الثقة بها ، بحيث كانوا يتسابقون على الفوز بكفالتها ..

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أُنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ

أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٤٤]

.. فالرابط الأول - كما يعلمه بنو إسرائيل - هو كون هارون (كنيي ووزير) ومريم عليها السلام (كندُر لله تعالى) ، هما نتيجة دعاء الله تعالى .. وكلاهما وُضعت به الثقة ونُظِرَ إليه من قِبَل بني إسرائيل - في البداية - على أنه أهلٌ لهذه الثقة ..
.. موسى عليه السلام وضع ثقته بهارون عليه السلام وكلفه بأن يخلفه في قومه وأن يُصلح ولا يتبع سبيل المفسدين ..

﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ

لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ

الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٢]

.. وبعد ذلك وقبل أن يرجع موسى إلى قومه ، اتخذ قومه من حليهم عجلًا جسداً له خوار ..

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ

لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْتَدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَٰكِنَّا سَقَطْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ إِذْ يَبْعَثُ إِلَيْنَا فِجْرًا أَكْثَرًا أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَاءْنَا إِيَّاهُمْ بِآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّيْسَ بِلَا إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ فَذَلَّلُوا إِلَيْنَا سَبِيلاً وَلَٰكِنَّا نَمُنُّ بِآيَاتِنَا وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَنَحْنُ نَسْتَعِينُ ﴿١٤٩﴾

الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٨ - ١٤٩]

ولما رجع موسى عليه السلام إلى قومه توجه إلى هارون كونه كلفه بمداية قومه أثناء غيابه ، وأخذ بلحية هارون وبرأسه يجره إليه ..

﴿ قَالَ بِسْمَا حَلَفْتُنِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ

بِرَأْسِ أَخِيهِ سَجُودَهُ إِلَيْهِ ﴾ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ

بِالْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٢﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا

فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿ [الأعراف : ١٤٢ - ١٥١]

﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنسِيَ

﴿١٤٣﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿١٤٤﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ

هَارُونَ مِنْ قَبْلُ يَنْقُومِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي

﴿١٤٥﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿١٤٦﴾ قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ

إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٤٧﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿١٤٨﴾ قَالَ يَبْتَنُونَ لَا تَأْخُذْ بِلِحْجَتِي

وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿ [طه : ٨٨

— ٩٤]

.. إذا .. أتهم هارون عليه السلام بأنه لم يقم بالمهمة التي أوكلت إليه ولم يكن أهلاً

لها ، فلم يستطع تقويم الانحراف الذي آل إليه بنو إسرائيل في ذلك الموقف .. هذه هي

الصورة التي اعتقدها بنو إسرائيل عن هارون عليه السلام ، مع أنه — كما بيّن القرآن

الكريم — حاول هدايتهم بكامل استطاعته ، إلا أنهم استضعفوه وكادوا يقتلونه ..

.. ومريم عليها السلام حينما أتت بعيسى عليه السلام ، نظروا إليها على أنها زانية ..

﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ﴾ قَالُوا يَمْرَأَتُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَّتَ هَارُونَ

﴿ [مريم : ٢٧ - ٢٨]

.. هذه النظرة الخاطئة كانت بعد ثقةٍ وُضعتَ بها كما رأينا .. وبالتالي اعتقد بنو إسرائيل أنّها خانت الثقة ولم تكن أهلاً لها ، كما اعتقدوا أنّ هارون عليه السلام لم يكن أهلاً للثقة التي أُعطيت له ..

.. هذا هو رابط العمق الدلالي في وصف بني إسرائيل لمريم عليها السلام ﴿يَتَأَخَّتَ

هَرُونَ﴾ بعد أن أتت بعيسى عليه السلام واعتقدوا أنّها زانية فما أرادوه بقولهم

﴿يَتَأَخَّتَ هَرُونَ﴾ هو : يا من خنت الأمانة والثقة التي أُعطيت لك ، كما أنّ هارون

خان الأمانة والثقة التي أُعطيت له ، يا من لست أهلاً للثقة كما أنّ هارون لم يكن أهلاً للثقة ..

.. فكلُّ ما يرد بصياغة النصِّ القرآني هو تصويرٌ مطلق للمعاني والدلالات يتعلّق بعلم

الله تعالى المطلق ، وصياغة مطلقة تتعلّق بحكمة الله تعالى وقدرته المطلقة ..